مجلّـة الواحـات للبحـوث والدراسـات
ردمـد 7163- 1112
http://elwahat.univ-ghardaia.dz

اللسانيات الاجتماعية في مقدمة ابن خلدون

بابلحاج ربيعة
قسم اللغة و الأدب العربي - كلية الآداب و اللغات
جامعة قاصدي مرباح ورقلة –الجزائر
البريد الالكتروني: babelhadjrabiaa@gmail.com

الملخص-

اللسانيات الاجتماعية هو العلم الذي يدرس اللغة في علاقتها بالمجتمع , و ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع, قد تحدث في مقدمته عن بعض النقاط التي تطرقت اليها اليوم اللسانيات الاجتماعية الحديثة .

سنتحدث في هذا المقال عن علاقة اللغة بالجانب الاجتماعي و عن السياسة اللغوية و الواقع الاجتماعي , و عن التخطيط اللغوي و اختيار المحتوى التعليمي. كل هذا في محاولة للمقاربة بين ما توصل اليه الدرس الحديث و اللسانيات الاجتماعية , و ما توصل اليه الفكر الخلدوني.

Sociolinguistic in muqaddimah of ibn khaldoun

The summary

Sociolinguistics is science the study of yhe relation between language and society .

Ibn khaldun founded sociology and he mention some pointes in lntroduction like modern sociolinguistics.

We will discuss in this essay the language related to the society , for language planning and seletion of educational content , all this about an attempt to approach the finding of moderin student and sociolinguistics and findings of the thought khaldun.

المقدمة

إن دراسـة اللغـة بوصـفها ظـاهرة اجتماعيـة قـد حظيـت باسـتقلال و اهتمـام خـاص، و مـن ثـم أصـبح لمثـل هـذه الدراسـة علـم أشـتهر بمصـطلح علـم اللغـة الاجتماعي sociolingistic و الذي هو نتاج العلاقة بين اللغة و المجتمع.

أ- مفهوم اللسانيات الاجتماعية:

هو العلم الذي يدرس اللغة في علاقاتها بالمجتمع؛ على اعتبار أن وظيفة اللغة الأساسية تحقيق التواصل بين الأفراد في المجتمع كما أن معانيها تتحدد تبعا للسياق الاجتماعي (1)

كما أن علم اللغة الاجتماعي له ثلاثة مصطلحات في اللغة الانجليزية هي:

1- sociolingistic
2- sociological linguistics
3- social linguistics

المصطلح الأول أكثر رواجا و استعمالا من غيره، رغم أن جميع المصطلحات تحمل نفس المدلول.

كما أن هناك ما يطلق عليه تسمية "علم الاجتماع اللغوي" أو "علم اجتماع اللغة" the sociology of language

و الفيصل في ذلك أن الباحث إذا اشتغل في تحليل بنية اللغة و بيان خصائصها التركيبية و الدلالية، استخدم مصطلح "علم اللغة الاجتماعي" لأن اهتمامه سينصب على الدراسات اللغوية.

أما إذا كان سيولي الجانب الاجتماعي اهتمامه الأكبر استخدم مصطلح "علم الاجتماع اللغوي" أو "علم اجتماع اللغة" (2)

(1)- ينظر ، كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي، دار غريب، القاهرة، ط3، 1997م،ص41.

(2)- ينظر، محمود سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، (د ط) ، 2003 م ، ص161- 162.

اجتهد علماء اللغة من أمثال: سوسير و مايبه و فندريس و فيرث و هاليدي و مالينوفسكي و يسبرسن و فلمور و هاريس و كاردنر و غيرهم على إنشاء هذا الفرع الجديد من فروع علم اللغة،إذ يطمح أصحابه إلى اكتشاف المعايير الاجتماعية التي تحكم السلوك اللغوي من أجل توضيح موقع اللغة في الحياة الإنسانية.

علم اللسانيات الاجتماعية فرع من فروع علم اللغة التطبيقي، لأنه يدرس مشكلات اللهجات الجغرافية و اللهجات الاجتماعية من حيث خصائصها الصوتية و الصرفية و النحوية و الدلالية و كذا الازدواج اللغوي مثل الفصحى و العامية كما يعمل على حل الكثير من مشكلات التعليم.(1)

ظهرت هذه المدرسة في أمريكا و ما لبثت أن انتشرت في بعض أجزاء العالم بعد انتقادها لسابقتها (نظرية تشومسكي) التي درست اللغة بمعزل عن المجتمع. و انطلاقا من هذا طرح رواد هذه المدرسة الجديدة مفهوم "قدرة التواصل الاجتماعي"عوضا عن القدرة اللغوية و بالتالي فقد أعطت بعدا اجتماعيا لعملية تعليم و تعلم اللغة.(2)

ب- علاقة اللغة بالجانب الاجتماعي:

يختلف تعريف اللغة من باحث إلى آخر، باختلاف الزاوية التي ينظر منها: اللغة ظاهرة اجتماعية، و وسيلة اتصال...(3)

(1)- حلمي خليل دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002م، ص77- 78.

(2)- ينظر، عبد الهادي عبد العال حنيش، التعريب و تعليم اللغات الأجنبية، مجلة العلوم الاجتماعية و الإنسانية، جامعة باتنة، العدد05، 1996م، ص299- 300 .

(3) - ينظر، أحمد شامية، في اللغة، دار البلاغ، الجزائر،ط1، 2002م، ص11.

وفيما يلي عرض لمختلف التعاريف لجملة من العلماء الذين ينتمون إلى المدارس اللغوية الحديثة بهدف جمع النقاط المشتركة المتوصل إليها ،و مقارنتها في الفصل اللاحق بما توصل إليه من قبل الفكر الخلدوني .

الانطلاقة ستكون بتعريف سابيرEdward Sapir للغة بأنها «ظاهرة إنسانية و غير غريزية لتوصيل العواطف و الأفكار و الرغبات»(1)

من خلال هذا التعريف تم إحصاء الخصائص التالية:

1- اللغة وسيلة إنسانية غير غريزية: بمعنى أن اللغة مكتسبة و غير فطرية.

2- اللغة وسيلة للتعبير بحيث تقوم بتوصيل العواطف و الأفكار و الرغبات.

3- اللغة عبارة عن نظام من الرموز الاصطلاحية (2)

ننتقل إلى تعريف العالم اللغوي نوام تشومسكي و مفاده «اللغة ملكة فطرية عند المتكلمين بلغة ما لفهم و تكوين جمل نحوية»(3)

طرح هذا التعريف القضايا التالية:

1- اللغة ملكة فطرية تولد مع الإنسان و من خلالها يتمكن من التواصل مع غيره من المتكلمين.

2- أشار إلى ثنائية (القدرة و الأداء)، فالقدرة هي المعرفة اللغوية عند الطفل ،و التي يولد بها و يدعم هذه القدرة المعرفة بالقواعد النحوية التي تربط بعضها ببعض في جملة، بالإضافة إلى المعرفة بالقواعد

(1) - حلمي خليل، مقدمة لدراسة علم اللغة، دار المعرفة الجامعية، (دط)، الإسكندرية، 1999م، ص2.

(2) - نادية رمضان نجار، اللغة و أنظمتها- بين القدماء و المحدثين- ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية، 2004م، ص16.

(3) - Chomsky.noam jersey, 1954, aspects of theary of syntax: Massachusetts,1965, cartesian linguisties: new york, 1972 , reflection on , linguistics: new York , 1975.

التحويلية كما سماها تشومسكي و التي ستسمح بتوليد عدد لا متناهي من الجمل في لغة معينة.

و لقد أشار هذا التعريف إلى الخصائص المكونة للغة كالتالي:

1- اللغة مجموعة لا متناهية من الجمل.

2- اللغة أصوات دلالية.

3- اللغة ملكة إنسانية.

4- اللغة تنظيم ضمني من القواعد.

5- اللغة ميزة إنسانية مكتسبة.

أما تعريف بلومفيلد فقد أشار إلى أن اللغة ميزة إنسانية مكتسبة و ذلك أثناء حديثه عن الطفل و كيف أنه «يترعرع في مجموعة بشرية معينة يكتسب هذه العادات الكلامية و الاستجابية في سني حياته الأولى»(1)

و قبل أن نطوي هذه الصفحة نعرض أهم ما توصل إليه الدرس الحديث:

1- الطبيعة الصوتية للغة.

2- الوظيفة الاجتماعية للغة من حيث كونها أداة للتعبير و الاتصال.

3- اختلاف اللغة باختلاف المجتمع.

ج- السياسة اللغوية و الواقع الاجتماعي:

و هي المرحلة النظرية التي من خلالها يتم الربط بين الواقع الاجتماعي و اللغة، و ذلك قصد تحديد اتجاه لغوي مساعد يخص الإجراءات(1) التي سنفذ فيها بعد.

(1)- ميشال زكريا، بحوث ألسنية عربية، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، (دط)، 1992م، ص67.

إن مفهوم السياسة اللغوية يعني مجموعة الاختيارات الواعية المنجزة في مجال العلاقات بين اللغات و الحياة الاجتماعية، و أكثر تخصيصا بين اللغة و الحياة الوطنية ، و السياسة اللغوية تحترم ثلاثة عناصر التاريخ و العقيدة و الكيان الوطني.

الدولة في سياستها اللغوية تسعى لتحقيق أهداف و غايات معينة انطلاقا من الواقع الاجتماعي و بالإجابة على الأسئلة التالية:

- من الذين نعلمهم؟
- ما نوع التعليم الذي توجه إليه العناية؟
- إلى أي الأنواع التعليمية تقدم أكبر ميزانية؟

ذهب كوردر إلى أن الدولة تتخذ مجموعة من القرارات السياسية بشأن اللغات المراد تعليمها، فيما يتناسب و توجيهها السياسي وخياراتها الاقتصادية و الواقع الثقافي و التاريخي ...الخ ،

و تجدر الإشارة إلى أن السياسات اللغوية تجسدها مرحلة التخطيط اللغوي.

د- التخطيط اللغوي:

التخطيط من الناحية اللغوية يعني (التسطير) و اصطلاحا يقصد به "البحث و مباشرة عمل الوسائل الضرورية لتطبيق سياسة لغوية ما". وهو من عمل المجامع، و تخطيط السياسة التعليمية، و التخطيط سياسة مبينة على مجموعة من التدابير التي تتخذ من أجل تنفيذ هدف معين؛ إذ أن مفهوم الخطة يحدّدها عنصران : أولهما وجود هدف أو غاية يرجى بلوغها، و ثانيهما وضع

([1])- اجرائية: عملية يتم بها تحديد المفاهيم النظرية غير المحسوسة عن طريق اشتقاق أدلة على وجودها من النوع الذي يمكن ملاحظته، فإذا تمت هذه الملاحظة كان في هذا التحقق من عدم وجود المفهوم النظري.

تدابير محدّدة و وسائل مرسومة لبلوغ هذا الهدف.[1] هذا العلم يطمح إلى حل مشكلات الاتصال اللغوي على مستوى الدولة أو الوطن بتحديد الأهداف و وضع الخطط الكفيلة لحلها بطريقة علمية و عملية، وفق برنامج زمني محدد، من خلال الدراسات اللغوية التي لها صلة بذلك مثل:

- اللهجات العامية و علاقتها بالفصحى.
- مستويات الفصحى التي نريد لها السيادة في حياتنا الثقافية و التعليمية.
- المستوى اللغوي الذي ينبغي على الحكام و الوزراء و القادة استعماله ،أو ينبغي على وسائل الإعلام و الإعلان، المرئية و المسموعة و المكتوبة الالتزام به و لغة الدين و السياسة.
- تعليم اللغة القومية و المستويات اللغوية التي ينبغي أن تعلم.
- أنواع المعاجم التي نحتاج إليها، و لغة الترجمة و ما ينبغي أن يترجم.
- وضع ضوابط للكتابة الصحيحة التي ينبغي الالتزام بها.
- اللغات الأجنبية و حدود استعمالها في التعليم أو غيره.
- إحلال اللغة القومية محل اللغات الأجنبية في التعليم و غير ذلك من مشكلات الحياة اللغوية.[2]

معظم مشكلات التخطيط اللغوي يتولاها فرع تطبيقي في اللسانيات الاجتماعية من مجتمع لا تتوفر فيه الوحدة اللغوية.[3]

هـ- اختيار المحتوى التعليمي:

التخطيط لتعليم لغة ما و اختيار محتوى تعليمي معين، من تطلعات السلطة التي تسعى إلى توحيد المجتمع ضمن نظام واحد من اللغة، رغم تنوعاته الدينية

([1])- ينظر ، صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة ، الجزائر ، (د ط) ، 2000م ، ص12.

([2])- ينظر، حلمي خليل، دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص80.

([3])- ينظر ، نفس المرجع ، نفس الصفحة .

و الثقافية بهدف تحقيق الالتحام بين أفراده في ظل التعددية اللغوية، «كما هو الشأن بالنسبة لكثير من البلدان العربية، و بلدان المغرب العربي خاصة، إذ يفترض أن يكون للدولة حضور قوي في أي تخطيط لتعليم اللغات ، لأنّ القرارات التي تتخذها في ذلك هي التي ستحدد نوع اللغة المختارة للتعليم و بالتالي جميع تفاصيلها من المواد التطبيقية التي تشكل النصوص جزءا هاما منها»[1]

و- الازدواجية اللغوية الاجتماعية:

و هو تواجد لغتين مختلفتين، ترتبان حسب الطبقات الاجتماعية، و قد ولّد اللغوي الفرنسي "بسيشاري psichari" مصطلح "ثنائية" من اليونانية و الذي يعني ازدواجية،... بحيث نجد صنفا لغويا مكتوبا و آخر عاميا. ثم جاء بعده فيرقيسون Fergusson فطوّر المصطلح و فصّل فيه، إذ يعرّف الثنائية على أنها دالة لغوية ثابتة، حيث نجد زيادة على أشكال لهجات اللغة، صنفا لغويا مختلفا معياريا ناقلا لثقافة مكتوبة واسعة و محترمة، يدرس في التربية الرسمية و الشفوي الرسمي و لا يستعمل في الحوارات العامية في أي جزء من الوطن.[2]

و قد عرّف الدكتور إبراهيم أنيس اللهجة بقوله: «اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة خاصة، و يشترك في هذه الصفات جميع أفراد البيئة[3] »

فاللهجة اللغة الأولى التي يتعلمها الطفل و يستوعبها في سن مبكرة، فهي تسبق ملكة التفكير، لذلك فهي راسخة حتى و إن تعلم الفرد لغة ثانية.

([1])- ينظر، أبو زكرياء يحي بوتردين، المرجعيات الأساسية في تعليمية اللغات (محاضر ، ألقيت يوم 08- 12- 2005).

([2])- ينظر، صونية بكال، الازدواجية اللغوية، مجلة اللغة الأم، ص133.

([3])- محمود سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي، نقلا عن: إبراهيم أنيس، اللهجات ص274.

لذلك كان من السليم اجتماعيا، و تربويا تعليم الأطفال خاصة لغتهم الأولى و إجادتها سواء كانت هذه اللغة لهجة ،أو لغة قومية. و من ثم الأخذ بيدهم لتعلم اللغة الثانية (القومية أو اللهجة).[1]

وظيفة المربي تجاه الحفاظ على اللهجة هي العمل على استكمال و تجديد المهارات للفظية الخاصة باللهجة، و كذا تنمية مهارات استخدام اللغة القومية، بصفة تدريجية. فاللهجة تأتي في درجة أدنى من اللغة القومية و تستخدم أثناء المحادثة في إطار العائلة و الأصدقاء و اللقاءات غير الرسمية، و اللغة القومية تستخدم في السياقات الرسمية.

كما أنها و في شكلها المكتوب تلعب دورا هاما كوسيلة اتصال مكتوبة.[2]

مما سبق يمكن القول بأنه بات من الضروري الإلمام بالمعرفة الاجتماعية بالنسبة للمتعلمين خاصة. و معرفة انعكاس النظام الاجتماعي على المؤسسة التعليمية و على النظام التعليمي بوجه عام. لأن إدراك المعلم للثقافة الاجتماعية و تأثيرها على الفرد اجتماعيا سيكون له أثر ملموس فيما يعلمه للأجيال .

المرجعية إلى اللسانيات الاجتماعية في المقدمة:

تحدث ابن خلدون في المقدمة عن أهمية العلم و كذا تعليمه في الاجتماع الإنساني، وقد فسر هذا « بأن الإنسان قد شاركته جميع الحيوانات في حيوانيته من الحس والحركة و الغذاء، و الكنّ و غير ذلك، و إنما تميز عنها

(1)- بمعنى أن بيئة الطفل قد تتحدث باللغة القومية عوضا عن اللهجة و قد يكون العكس باللهجة لا بالفصحى لذلك كان من الأحسن في تعليم الطفل للغة البدء باللهجة أولا ثم الفصحى.و اللغة المكتوبة التي تعبر عن تراث الشعب و تاريخه و تعد رمزا لهويته و مستودعا لتاريخه و تراثه.و تكون عادة اللغة الرسمية و لغة التعليم.

(2) – ينظر، سرجيو سبيني، ترجمة: فوزي عيسى و عبد الفتاح حسن، التربية اللغوية للطفل، دار الفكر العربي ، القاهرة، (دط)، 1998م، ص85.

بالفكر الذي يهتدي به لتحصيل معاشه و التعاون عليه بأبناء جنسه و الاجتماع المهيئ لذلك التعاون»([1]). فالفكر أمر ملازم لطبيعة الإنسان، و عن طريقه نشأت مختلف العلوم و الصنائع. ثم أن الإنسان يمتلك الفطرة في الرغبة في التعلم « فيكون الفكر راغبا في تحصيل ما ليس عنده من الادراكات، فيرجع إلى من سبقه بعلم، أو زاد عليه بمعرفة أو إدراك أو أخذه ممن تقدمه من الأنبياء الذين يبلغونه لمن تلقاه، فيلقن ذلك عنهم و يحرص على أخذه و علمه.»([2])

انطلاقا من هذا فان العلم و التعليم ملكة إنسانية يمتاز بها الإنسان، لذلك فان طلبها ضرورة إنسانية تفرضها طبيعة الإنسان في المجتمع.

أ- تعريف اللغة عند ابن خلدون:

عرّفها ابن خلدون بقوله:«اللغة في المتعارف عبارة المتكلم عن مقصوده. و تلك العبارة فعل لساني ناشئة عن القصد بإفادة الكلام، فلا بدّ أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها و هو اللسان. و هو في كل أمّة بحسب اصطلاحاتهم.»([3]) فاللغة عنده وسيلة للمتكلم للإفصاح عما يريد أن يعبر عنه.

هذا التعريف يثير قضايا لغوية هامة، أثارت جدالا في القديم و الحديث، من بينها اصطلاحية اللغة أو عرفيتها، نستشف هذا من خلال قوله:« و هو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم» هذا التعريف يؤكد على اصطلاح أو عرف اللغة، فاللغة ليست من صنع جماعة لغوية معينة أو فرد معين، بل هي تقليد و اتفاق متعارف به يتلقفها الفرد من بيئته بحسب الظرف أو الحاجة، إذن فهي ليست

([1])- عبد الرحمان بن محمد بن خلدون , مقدمة ابن خلدون , تحقيق : علي عبد الواحد وافي , دار نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع ،ج3، 2006 م ص924.

([2]) – المصدر نفسه، 925.

([3])- المصدر نفسه،ص1128.

مفروضة على متكلّميها، بل هي فعل لساني قصدي يختلف من أمة إلى أخرى بحسب لسانها.

أما عن وظيفة اللغة فيقول:« اللغات إنما هي ترجمان عما في الضمائر من تلك المعاني يؤديها بعض إلى بعض بالمشافهة في المناظرة و التعليم و ممارسة البحث في العلوم، لتحصيل ملكتها بطول المران على ذلك »(1). فابن خلدون رجح أن اللغة مكتسبة عن طريق الدربة و المران حتى صارت صفة راسخة ثابتة لدى صاحبها.كما أكد بأنها مشافهة، و في هذه النقطة لوحظ اتفاق بينه و بين ابن جني عندما عرف اللغة بقوله:«أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»(2). هذان التعريفان عنيا بالجانب الفيزيقي –أصوات- كذا بالجانب النفسي –الملكة- لغرض تحديد اللغة. كما اهتم بالوظيفة التعبيرية عن المعاني و الأغراض.(3)

و خلاصة القول أن ابن خلدون حاول أن يلفت الانتباه إلى كون اللغة مكتسبة و ليست توقيفية أو وراثية أو غريزية. على حد قول الدكتور عبد الجليل مرتاض:«اللغة تتميز بكونها اجتماعية في ماهيتها و مستقلة عن الفرد و نحن نتعلمها من خلال إصغائنا للآخرين.»(4)

(22)- المصدر السابق،ج3، ص1125.

(23)- ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، 1952م، (دط)، ص33.

(3) – فطن ابن خلدون و غيره من العلماء المسلمين كابن جني إلى هذا الارتباط بين اللغة و المجتمع، نلمح ذلك في استخدام مصطلح (أمة) عند ابن خلدون و عند ابن جني مصطلح (قوم) للدلالة على كلمة مجتمع بالمعنى الحديث.

(4)- ينظر، عبد الجليل مرتاض، اللغة و التواصل (اقترابات لسانية للتواصلين: (الشفهي و الكتابي)، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، (دط)، 2003م، ص25.

ب - السياسة اللغوية و الواقع الاجتماعي:

يذهب ابن خلدون إلى أن العلم و التعليم يزدهر حيث تزدهر الحضارة و العمران، لأن العلم من جملة الصنائع المتعلقة بها، فكلما ازدهرت الحضارة كان طبيعيا أن تزدهر الصنائع لأن « الصنائع إنّما تكثر في الأمصار، و على نسبة عمرانها في الكثرة و القلة و الحضارة و الترف تكون نسبة الصنائع في الجودة و الكثرة.»(1) لهذا السبب كانت بلاد المغرب و الأندلس مزدهرة في عصورها السالفة التي تميزت بارتفاع مستواها الحضاري و بالتالي النهوض بالمستوى العلمي و الثقافي، لهذا فما نشاهده اليوم من تراجع و انحطاط للصناعات بما فيها العلم و التعليم له علاقة وطيدة بما تقدم ذكره.

و قد عقد ابن خلدون مقارنة بين ما بلغته بلاد المشرق من التقدم في المجال العلمي، و التعليمي،و الحضاري بصفة عامة و بين ما آلت إليه بلاد المغرب بعد ما أصابها من انتشار للآفات الاجتماعية و التدني في المستوى المعيشي. ضف إلى ذلك الطبع البدوي للسكان من عرب و بربر«حتى انه ليظن كثير من رحالة أهل المغرب إلى المشرق في طلب العلم، أنّ عقولهم على الجملة أكمل من عقول أهل المغرب، و أنهم أشدّ نباهة و أعظم كيسا بفطرتهم الأولى.»(2) هكذا علّق ابن خلدون على هذا الادعاء و الذي أعتقد بأنه (حقيقة إنسانية) على حد تعبيره، و في نفس المنحنى ذهب أبو حيان التوحيدي في تعداد الأسباب التي تكسب الإنسان حكمة و بصيرة بقوله:« التقلب في الأمصار، و التوسط الجامع ، و التصرف في الصناعات، واستماع فنون الأقوال»(3) و لمزيد من الإيضاح عقد ابن

---

(1)- المصدر نفسه ، ص929.

(2)- المصدر نفسه،ج3، ص 928.

(3)- ينظر، مجموعة من المؤلفين، الفكر التربوي العربي الإسلامي: الأصول و المبادئ، المنظمة العربية للتربية و الثقافة والعلوم، إدارة البحوث التربوية، تونس،1987م، ص878. نقلا عن: أبو حيان التوحيدي ج2 ، ص35.

خلدون مقارنة ثانية بين أهل الحضر و البدو و مفاده أن تقدم الحضر على البدو يعود إلى الأسباب المذكورة آنفا.

استنادا لهذا الطرح أن الحضارة تتأثر بالتقدم العلمي و تؤثر فيه كذلك، و إذا خطت خطوة إلى الوراء عاشت حالة من البداوة يفقد خلالها العلم سنده الرئيسي في طريق التقدم. وابن خلدون بصفته عالم اجتماع حريص على ربط العلم بالظواهر الاجتماعية. لكون العلم و التعليم صناعتين تزدهران بازدهار العمران. و تتراجعان إذا أصاب الدولة الهرم والانحطاط.

ج- قضية التخطيط اللغوي:

تطرق ابن خلدون بفكره الثاقب لقضية التخطيط اللغوي في الفصل الذي سماه "في لغات أهل الأمصار" و تحدث عن اللغة المسيطرة المهيمنة.و هي لغة المجتمع المسيطر بدينه يقول:«اعلم أن لغات أهل الأمصار إنما تكون بلسان الأمة أو الجيل الغالبين عليها أو المختطّين لها»(1). و يضيف أن لغات أهل الأمصار الإسلامية هي اللغة العربية لغة السلطان و لغة الدين الإسلامي أو لغة الجيل الغالبين (و قد قصد بذلك الملك و الدين) و الذين أثرا في اللغة و تعليمها، فالملك أو السلطة تقوم بإمساك زمام الأمور، ووضع النظم و القوانين، و توجيه الرعية إلى السير على كيفية مخصوصة .أما السلطان فانه يحرص على مصالحهم، و يقوم بتنفيذ رغباتهم. لذلك فلا بد من وسيلة تمكن من إيصال الأفكار وتبادل الآراء بين الطرفين. ومن المعلوم أنه ما من وسيلة غير اللغة الضابطة المسنة للقوانين.

الدين يعتبر إكسير الشعوب روحا و مادة، و لغته تحمل ميزة خاصة، و أسلوبا فريدا من نوعه يحتاج إلى فكر ثاقب و نظرة صائبة للولوج إلى أعمق أسراره و

(1)- المصدر السابق،ج2، ص 828.

مقاصده، و الوسيلة هي لغة هذا الدين[1]، لذلك كان من الطبيعي أن تسيطر الأمة الإسلامية بلغتها على باقي الأمم بصفتها أمة غالبة و تفرض سياستها التخطيطية اللغوية. و دليل ذلك بلسان ابن خلدون قوله:«و السبب في ذلك ما وقع للدولة الإسلامية من الغلب على الأمم، و الدين و الملة صورة للوجود و للملك. وكلها موادّ له، و الصورة مقدمة على المادّة، و الدين إنما يستفاد من الشريعة و هي بلسان العرب، لما أن النبيّ (ص) عربيّ، فوجب هجر ما سوى اللسان العربيّ من الألسن في جميع ممالكها»[2] ويضيف أنه في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت اللغة العربية هي اللغة الشرعية التي وجب استعمالها و نهى عما عداها من اللغات الأعجمية و قال أنها خبّ و تعني مكر و خديعة. « فلما هجر الدين اللغات الأعجمية و كان لسان القائمين بالدولة الإسلامية عربيا هجرت كلها في ممالكها، لأن الناس تبع للسلطان و على دينه، فصار استعمال اللسان العربي من شعائر السلام و طاعة العرب»[3] هذا يدل على سيطرة اللغة العربية على اللغات الأعجمية و إزاحتها من جميع ممالكها؛ و السبب راجع لسيادة هذه اللغة، لغة الحكم و الدين. و صارت اللغة العربية اللغة الأصل و كل ما عداها لغات دخيلة حتى عند الناطقين بها، مما جعلها مهددة في استمراريتها «و هجر الأمم لغاتهم و ألسنتهم في جميع الأمصار و الممالك، و صار اللسان العربي لسانهم، حتى رسخ ذلك لغة في جميع أمصارهم و مدنهم، و صارت الألسنة الأعجمية دخيلة فيها و غريبة».[4]

و زيادة في التأكيد على دور الدولة و سلطتها و ارتباط مصيرها باللغة و بتعليمها. يذكر ما أصاب اللغة العربية حين فقدت شرعيتها الاحتكارية و

([1])- ينظر، محمد صلاح الدين مجاور، تدريس اللغة العربية في المرحلة الثانوية، دار الفكر العربي، القاهرة، (دط) ، 2000م، ص491.

([2])- المصدرنفسه،ج2، ص828.

([3])- المصدر نفسه، ص 828.

([4])- نفس المصدر، نفس الصفحة.

كادت تندثر بزوال تلك الروابط «و لما تملك العجم من الديلم و السلجوقية بعدهم بالمشرق وزناتة و البربر بالمغرب، ...فسد اللسان العربي لذلك، ...لولا ما حفظه من عناية المسلمين بالكتاب و السنة الذين بهما حفظ الدين»[1].

لقد كان ابن خلدون ذا وعي بحقيقة الصراع بين اللغة و السلطة فقد أدرك صلة اللغة بالدولة، و بما تقوم به الدولة في المجال التعليمي. للنهوض باللغة التي تراها في صالحها أو في صالح الشعب الذي ينضوي تحت جناحها.

د- أسس اختيار المحتوى التعليمي:

تستند عملية اختيار المحتوى التعليمي على مجموعة من المعايير و المبادئ التي تجعل منها عملية اجتماعية، علمية، وفي نظر ابن خلدون نلمح مجموعة من الأسس.

1- الأساس الديني:

و قد دعى ابن خلدون كغيره من المربين المسلمين إلى التوجه بكل الإخلاص و الجهد إلى إرضاء الله عزّ وجل، و التفكير في الدار الآخرة، و التقليل من السعي وراء ملذات الدار الدنيا. لهذا فمن واجب المعلم غرس الروح الدينية في نفوس طلابه، لذلك فعلى المتعلم أن يتحّرى في مصادر معلوماته « فيرجع إلى من سبقه بعلم أو زاد عليه بمعرفة أو إدراك أو أخذه ممن تقدمه من الأنبياء الذين يبلغونه لمن تلقاه، فيلقن ذلك عنهم و يحرص على أخذه و علمه»[2].

2- الأساس الأخلاقي:

إن عملية التعليم في نظره ليست مجرد حشو العقول بالمعارف و المعلومات أيا كان نوعها، لذلك ينبغي أن يراعى فيها الجانب الأخلاقي الذي يكفل للمتعلم

(1)- المصدر نفسه، ص830.

(2)- المصدر السابق،ج3، ص925 .

في حياته العملية نهجا خلقيا مستقيما، و يكون ذلك بتلقين المتعلم « الآداب من معاملة البشر من والديه، و في معناهما المشيّخة و الأكابر، و يتعلم ذلك منهم.»[1]

3- الأساس النفسي:

إن حديثنا عن هذا الأساس يعود لما لمسناه من تأثير في الجانب الفردي و تعميمها في حياة المجتمع ككل؛ لأن مراعاة ميول المتعلمين و قدراتهم و استعداداتهم من ضمن السياسة المجتمعية. و« من كان مرباه بالعسف و القهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر، و ضيّق على النفس في انبساطها... و فسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع و التمرن»[2]

4- الأساس النفعي:

لا يتعارض هذا الأساس مع الأساسين الذين ذكرا آنفا (الأساس الديني و الأخلاقي) حتى و إن كان المطلب الغالب في اختيار مواد التعليم أو المحتوى التعليمي هو كسب مرضاة الله و لا يتأتى ذلك إلا بالعمل في الدنيا. لهذا برز هذا الأساس في اختيار محتوى التعليم، و هذا المعيار نجده في كثير من العلوم التي ذكرها الرجل في مقدمته و أولاها عنايته من بينها الفلاحة، الطّب، النجارة، البناء، الهندسة...

كما هداه تفكيره الخلدوني إلى هذه القيمة النفعية التي توجد في مجالات أخرى، فأثناء حديثه عن علم الفرائض يقول:« و هو فن شريف لجمعه بين المعقول و المنقول، و الوصول به إلى الحقوق في الوارثات بوجوه صحيحة يقينية عندما تجهل الحظوظ و تشكل على القاسمين، و للعلماء من أهل الأمصار بها عناية، و من المصنفين من يحتاج إلى الغلو في الحسابات و فرض المسائل التي

([1])- المصدر نفسه، ص920 .

([2])- المصدر نفسه، ص1119.

تحتاج إلى استخراج المجهولات من فنون الحساب و كالجبر و المقابلة و التصرف في الجذور و أمثال ذلك »[1].

هـ - الازدواج اللغوي (الفصحى و العامية):

ينقسم المتكلمون باللغة إلى قسمين :

أ- المتكلمون بالفصحى و هم المتعلمون.

ب- المتكلمون بالعامية و هم غير المتعلمين.

هذا فيما يخص التقسيم الوظيفي.

و لو عدنا إلى ابن خلدون نجده قسم المتكلمين تقسيما اجتماعيا:

سكان الحضر: و هم المتكلمين بالفصحى

سكان المدن: و هم المتكلمين بلغات مختلفة ممزوجة بنسبة قليلة أو كثيرة بالكلمات العربية[2].

في عرف ابن خلدون أن اللغة العربية الفصحى موجودة في الحضر (أهل الريف) بالرغم من أنهم غير مثقفين . و قد تفطن إلى أن طريقة اكتساب اللغة الأولى كانت وليدة المجتمع . في البدء كانت بالطبع (عفوية) يقول في ذلك : «فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله و أساليبهم ...كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها، فيلقنها أولا، ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك، ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة و من كل متكلم، و استعماله يتكرر، إلى أن يصير ذلك ملكة و صفة راسخة و يكون كأحدهم.هكذا تصير الألسن و اللغات من جيل إلى جيل، و تعلمها العجم و الأطفال. و هذا هو معنى ما تقوله العامة من أن اللغة للعرب بالطبع»[3] بمعنى أنها ملكة تحدث من تكرار الأفعال (الصفة ثم

([1])- المصدر نفسه،ج1، ص119.

([2])- المصدر السابق ،ج3،ص1140.

([3])- المصدر نفسه،ص1146- 1147.

الحال ثم الملكة)، فإذا كانت الظروف مهيأة و موجودة تلقائيا كان تعلم اللغة يتم بصورة تلقائية، و هذا راجع لاستخدام اللغة بكل عفوية (بالطبع) بفضل انتقالها بشكل صحيح نطقا و سماعا (من جيل إلى جيل) و لم يحتاجوا في ذلك إلى تعليم.

إلا أن تغير الواقع الاجتماعي و اختلاط العرب بالأجناس البشرية الأخرى في الأزمنة المتأخرة ، أدى إلى امتزاج الألسنة العربية الفصحى بغيرها من اللغات الأجنبية فتولد بذلك ما يسمى بالازدواج اللغوي فاستوجب بذل المزيد من الجهد للحفاظ على اللغة الراقية و ذلك بالاعتماد على الصنعة و التعليم من خلال اللجوء إلى النصوص العربية شعرا و نثرا بطريقة التلقين و الحفظ « و على قدر المحفوظ و كثرة الاستعمال تكون جودة المصنوع نظما و نثرا... و هكذا ينبغي أن يكون تعلمها.»(1)

و خلاصة القول فإن ابن خلدون اعتبر التعليم ظاهرة اجتماعية ضرورية تفرضها طبيعة الإنسان في المجتمع , فالتعليم يتأثر بأحوال المجتمع إلى حد كبير , كما أنه يتقدم و يتأخر مع تقدم و تأخر هذا المجتمع كما أثار قضية إصلاحية و عرفية اللغة قبل أن يحيي المسألة العالم اللغوي فردينا ن دي سوسير , و ابن خلدون من العلماء الذين أقروا أن اللغة اصطلاحية في قوله " في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم " , و هذا بفضل المجتمع الذي يلعب دورا كبيرا في تعلم اللغة في خلال الإصغاء للآخرين , كما تفطن إلى السياسة التعليمية التي تفرضها الدولة , و اختيار النمط التعليمي الملائم لأفرادها و في فرض سياستها التخطيطية اللغوية , كما أخضع اختيار المحتوى التعليمي لمعايير و أسس اجتماعية علمية , و فرق بين مستويين من اللغة ,الفصحى و العامية,

و أشار من أن تعلم اللغة الفصحى أو الراقية يتم من خلال الصنعة أو بالتعليم.

([1])- المصدر نفسه، ص1446- 1147.

المصادر و المراجع :

المصادر:

. عبد الرحمان بن محمد بن خلدون , مقدمة ابن خلدون , تحقيق : علي عبد الواحد وافي , دار نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع ،ج3، 2006 م .

المراجع :

1) **ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، 1952م، (دط)**

2) **أحمد شامية، في اللغة، دار البلاغ، الجزائر،ط1، 2002م.**

3) **حلمي خليل دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002م.**

4) **حلمي خليل , مقدمة لدراسة علم اللغة , دار المعرفة الجامعية , (د ط) الاسكندرية , 1999م .**

5) **سرجيو سبيني , ترجمة : فوزي عيسى و عبد الفتاح حسن , التربية اللغوية للطفل , دار الفكر العربي , القاهرة (د ط) 1998 م.**

6) **صالح بلعيد , دروس في اللسانيات التطبيقية , دار هومة , الجزائر , (د ط) , 2000 م**

7) **عبد الجليل مرتاض , اللغة و التواصل (اقترابات لسانية للتواصليين : (الشفهي و الكتابي) , دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع , الجزائر , (دط) 2003 م .**

8) **كمال بشر , علم اللغة الاجتماعي , دار غريب , القاهرة , ط3 , 1997 م**

9) مجموعة من المؤلفين , الفكر التربوي العربي الاسلامي : الأصول و المبادئ , المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم , ادارة البحوث التربوية , تونس , 1987 م , نقلا عن : أبو حيان عبد التوحيدي ج2 .

10) محمد صلاح الدين مجاور , تدريس اللغة العربية في المرحلة الثانوية , دار الفكر العربي , القاهرة , (دط) , 2000 م .

11) محمود سليمان ياقوت , منهج البحث اللغوي , دار المعرفة الجامعية , الاسكندرية ,(د ط) 2003 م .

12) ميشال زكريا , بحوث ألسنية عربية , المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع , بيروت , (دط) , 1992 م .

13) نادية رمضان نجار , اللغة و أنظمتها . بين القدماء و المحدثين . دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر , الاسكندرية , 2004 .

المجلات :

. مجلة اللغة الأم , سنة 2004م , دار هومة , الجزائر .

المحاضرات :

محاضرة بعنوان : المرجعيات الساسية في تعليمية اللغات , للدكتور أبو زكريا يحي بوتردين , ألقيت يوم :2005/12/08, بجامعة قاصدي مرباح , كلية الأداب و العلوم الانسانية , قسم اللغة العربية و ادابها .

المراجع الجنبية :

- Chomsky noam new jersey , 1954, aspects theary of syntax massachusetts , 1965, cartesiah linguisties :new York, 1996, language and mind: now York: 1972, reflection on linguistics:new york , 1975.